



في كل عصر يعيش الناس على إيقاع أسئلة تتعاقب فيها ملامح الحاضر وتراكمات الماضي واستشرافات المستقبل، وأسئلة الناس في ذلك أصناف؛ منها ما يأتي خلقا سويا نابعا من طينة الانتماء إلى القيم الحضارية المتجذرة في تاريخ الأمة وأمجاده، ومنها ما يأتي مشوها قد لبس حلة التغريب، وتشبث بأوهى الأسباب والنحل. وفي فضاء الإبداع الأدبي ظل الباب مشرعا أمام أسئلة أفرزها حاضر الأمة المهين، فتعالت صيحات الأدباء وصرخاتهم المدوية في وجه العصر، فلا يكاد عمل إبداعي يخلو من حرقة السؤال، بل إن السؤال قد غدا الميسم الأساس لأدب العصر.



د. عمر الملاحى - المغرب

دلالة السؤال في ديوان



أو أن يعلن البشارة
إن كان لا يعرف أن جوهر
الحضارة
يسكن قلب الشعب
كالشراره^(١)
إنه سؤال الانتماء الذي يرفع
الشاعر فوق أتون التدجين،
ويجعله لسان صدق يعلن البشارة .

السقوط في تضاريسها الوعرة،
وشذا الماضي من غير الركون إلى
أطلال أمجاده، ففي أولى محطات
الديوان، تقابلنا أسئلة الحاضر
في مقام الالتزام برسالة الأدب
النبيلة:

هل يملك الشاعر أن يدجن
الأشياء

إن الأمراني الذي امتلك
ناصية القريض، في فضاء الشعر
المعبر عن الهوية الحضارية
للأمة الإسلامية قد أبان عن
مقدرة فنية متميزة في صياغة
أسئلة الحاضر والغائب. ولعل من
مظاهر التميز أن يفوح من أسئلة
هذا الشاعر عبق المرحلة، دون

ومن أسئلة الحاضر أن جذوة الحروف تخبو إن لم يكتبو الشاعر بلهيب الواقع المرير:

هل يملك الشاعر أن يفجر الحروف كالقطر

وأن يؤنس الأمطار

والليل والنهار

إن كان لا يجتاز خط النار؟

وفي المقام نفسه يتواتر السؤال الذي يهيم على أفق القضية: قضية الماضي والحاضر والمستقبل معا، قضية أرض الإسراء المباركة وثورة الحجارة المجيدة:

هل يستطيع شاعر أن ينشد الأشعار

أو يمارس انفجاره

في غفلة عن لغة الحجارة؟^(٢)

وتشد وطأة السؤال وتعلو نبرته في فضاء الديوان، ففي مشهد سيمفوني يتوحد فيه الحاضر بالماضي، ويتهادى أفق الاستشراف تعبيرا عن ثورة القيم: قيم النقاء في زمن العفونة والسقوط:

هل تبدأ الثورة من محاجر امرأة؟^(٣)

إنها المرأة الرمز/ المرأة التي تجد امتدادها في ماضي الأمة، وفي سجل الخالدات من نساء هذه الأمة: أسماء وخولة والبلجاء ونسبية وسواهن كثر:

خولة كانت في دمي سيفاً من النور

والبلجاء:

لم تكن البلجاء

نعامة ربداء

ونسبية:

ولم تكن نسبية في أحد

قعيدة العطور والحناء.^(٤)

تتحدد طبيعة الثورة في بنية السؤال على هذا النحو الذي يتحد معه الماضي بالحاضر، دونما حاجة إلى البحث عن أسباب هذا الترابط الوثيق مادامت القيم النبيلة خالدة لا يدركها الأفول، وإن أصابها بعض الوهن تحت وقع ماديات العصر وملذاته.

وفي غمرة هذه الثورة يستشعر الشاعر «حسن الأمراني» صدق الإحساس بطبيعة اللحظة الحضارية التي تجتازها أمة



د. حسن الأمراني

الإسلام، وما دلالة السؤال هنا إلا بعض من مظاهر هذا الإحساس.

وفي قصيدة «البلستان» من الديوان نفسه تتعالى نبرة السؤال، مرة أخرى وفي نسيج محكم يوحد الزمان في أبعاده الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، في تيمة جامعة مدارها مرارة الواقع واغتراب المسلم. يقول الأمراني معبرا عن هذا الحال:

فماذا أقول

وقد نبت العوسج المرفوق

لساني؟

ويصدر السؤال من عمق هذه

المرارة

من سيصون شعاع الضمير

ومن يحضن الأمل

المستجير؟^(٥)

ويختار الأمراني للدلالة على عمق المعاناة الطفلة العربية عميرة التي أدركها فيضان «أرمو الكولومبية»، والاختيار يؤشر على المنحى الحضاري في رؤية الشعر الإسلامي المعاصر الذي ما فتئ يعانق قضايا المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها.

في نبرة السؤال نقرأ مرة أخرى، ملامح أزمة الضمير في زمن تتهاور فيه القيم الفاضلة:



ومن سيصون شعاع

الضمير؟

ولربما كان الغد أشد مرارة
بناء من الدلالة التي توحى بها
صيغة الفعل «سيصون»، كما
نقرأ في السؤال الثاني ملامح
الضياح في عالم لا يرحم:

ومن يحضن الأمل

المستجير؟

وتتواتر الأسئلة في القصيدة
الثالثة من الديوان، وهي جميعها
محكومة بالظرف التاريخي
المبوء.

إلى أبي أيوب الأنصاري،
وهي اعتذارات متشعبة تتم
عن الحنين إلى عصر النبوة
والفتوحات الإسلامية أو لنقل
إلى الزمن المشرق في سجل
تاريخ هذه الأمة المجيدة ■

الهوامش:

- (١) حسن الأمراني: ثلاثية الغيب
والشهادة، المطبعة المركزية وجدة،
الطبعة الأولى ١٤١٠م-١٩٨٩م، ص ٥.
- (٢) المرجع نفسه، ص ٦.
- (٣) المرجع نفسه، ص ١٢.
- (٤) نفسه، ص ١٤.
- (٥) نفسه، ص ٤٣.

وَقَيْتَ أبا الوفاء

في رثاء الشيخ أحمد باجنيد، رحمه الله .

عزاء؟ ليس ثمة من عزاءٍ
عزاء للمحبين الحزانى
لأنك كنت مآرِزهم وإن قد
وقفت مع الأمجد مثل طودٍ
وتسقي زهر آدابٍ بفكرٍ
إذا اذكروا جميلك ذاب وجدٌ
جُزيت الخلد يا ابن جُنيد هذي
وقيت أبا الوفاء وسوف نبقي
سوى ألقٍ نبيل من ضياءٍ
وقد ضجوا لفقدك بالبكاءِ
رحلت فأنت ينبوع السخاءِ
تذبُّ عن التقى والأتقياءِ
يضمخها بأطياب السماءِ
وضجت السنُّ لك بالدعاءِ
محامدٌ قد جلاها كل راءِ
نسير على طريقك في الوفاءِ



د. أحمد بن يحيى البهكلي - السعودية